جاءت بيتيم من بيت حقير لتربيه عندها وهو يحمل ذات اسم فلس

على انها ليست منقطعة عن المطالعة في عالمها الجميل فانها تجد من ايامها المملوءة بالعمل وقتاً تطالع فيه احسن المؤلفات وكغيرها من الاسوجيين المهذبين تفهم وتقرأ الانكليزية والالمانية والفرنسية ولشدة اعتنائها بالبشر فهي تفتح قاعتها للفلاحين الذين في جوارها حيث تضع بين ايديهم ارقى المولفات التي اختارتها نفسها

وهي شقراء ربعة القوام ممتلئة الجسم شائبة الشعر عريضة الوجه براقة العينين بزرقة صافية بسامة الثغر بطيئة الحركات قليلة الاشارات واكثر ما تؤثر بصوتها الرنان الذي كله شعور ولكنها قليلة الكلام حتى يتوهم ان بها عيّ وقد قال لها احد اصدقائها مازحا : لا تقدرين على الحديث والمجاملة يا سلمى : على ان اصغاءها ونظراتها هي خير حديث والطف مجاملة وبالجملة فهي تتكلم حين يكون لها ما تقول

طرابلس جرجي قصاص

حديث في متحف

لزائر سوري

كنت يوماً في مدينة كولونيا من اعمال المانيا في تلك المدينة التي قد اخترعت فيها مياه الكولونيا المشهورة لدى السيدات والعظمة ايضاً بتاريخها . حيث ان سنة ٥٠ قبل المسيح وصل القائد الروماني الشهير يوليوس قيصر الى تلك البقعة على شواطئ نهر «الرين» فوطأت رجله الارض وابتدأ اول حرف من تاريخها الى هذا الزمان . فسنة ١٦ بعد المسيح ولدت فيها « جوليا اغريبينا » وليتها لم تولد ! لانها ولدت بعد ذلك ابنها « نيرون » الظالم الذي شق احشاءها ليرى المحل الذي قد تكوّن فيه . ولما فتي ملوك الفرنك على الرومانيين جعلوا كولونيا عاصمتهم الى ان تغلب عليهم « شارلمان » وخوّل رؤساء اساقفها السلطة على تتويج ملوك الرومان . وهكذا مشى التاريخ مثل القمر . تارة ناقصاً وتارة كاملاً . وتقدمت في مدينة كولونيا التجارة والصناعة والفنون والعلوم فاصبحت من اهم مدن المانيا في

القرن الخامس عشر وكان فيها جماعة من التجار السوريين يتاجرون بمحصولات الشرق ولا تزال تدعى احدى الساحات باسمهم وسنة ١٧٩٨ جاء نابوليون الاول واحتل رجة في تاريخ هذه المدينة الرائعة على شواطئ الرين وابدل كليتها بمدرسة حربية . لكن الزمان الدوار والعادل اوصل بونابرت الى جزيرة القديسة هيلانه واياد الى مدينة كولونيا راحتها . وهكذا تمكن المسجونون فيها من اكمال الكاتدرائية التي كان قد باشر بها البؤساء سنة ١٣٤٨ فجاءت من اشهر كاتدرائيات العالم وابدع مثال للنوع القوطيكي

كنت في احد متاحف هذه المدينة حيث جمع كثير من مصنوعات البلاد الوطنية وخصوصاً مدينة كولونيا حتى انه يمكن للزائر ان يشاهد تاريخ كل الصناعة الالمانية على شواطئ الرين . ويوجد ايضاً اشياء كثيرة من مصنوعات كل شعب كان في محله

وبينما كنت اتأمل في التحف واجتهد ان اقرأ فيها روح العصر الذي ابدعت فيه واخلاق الشعب الذي ابدعها . وصل الى القاعة حيث كنت ثلاث فتيات حاملة كل منهن (البوم) او بعدان تنظرن الى ما يوجد في تلك القاعة اخذت كل منهن كرسياً وجلست ترسم برغبة وذوق صور قطع المونيليا . فقلت في نفسي الاوفق ان ازكهن واذهب الى ردهة ثانية ثم اعود بعد ذهابهن . واذا في اني الردهات فتيات يرسمن صور التحف عن اصلها . فعلمت انهن بنات مدرسة اذ رأيت المعلمة تصلح لاحداهن رسمها فبدت في الرغبة سيئة عادتها وبعدما انتهت من التصليح استأنفتها بالكلام مستفهماً عن الغاية من رسم هذه الاشياء فاجابت وهي تبتسم — حتى يتعلمن اولاً الرسم ثم لكي يتمرن فيهن حب الفنون وفهم الجمال فتصير كل واحدة تحسن ادارة بيتها

— واي علاقة لذلك مع ترتيب البيوت

— انما تصير الفتاة تحسن الرسم وتحب الفنون وتميز بين الحاجة الجميلة وغير الجميلة فاذا كان لديها كرسي او طاولة او خزانة وما اشبه يمكنها ان تجعل كل شيء في محله

وتقدمت فتاة في نحو الرابعة عشرة من عمرها طلقة المحيا جميلة الشعر وطلبت من المعلمة ان تنظر رسماً رسمته بيدها وبعدان تأملته هنيهة اليها قالت لي: انظر هذا الرسم هو صنع الفتاة والدها قد بنى قصراً صغيراً وهو يريد ان يجعل كل فيه من الاثاث جميل ومفيد . وقد وجدت الان رسماً لكرسي تصنع منها طقماً للمائدة . وسيعجب به والدها ولا شك لان فيه شيئاً من الفن الالماني القديم والحديث) وبينما كنت اتامل فيه حانني الفتاة — وما رأيك فيه)

— يعجبني كثيراً . وكأني اراك جالسة على مثل هذا الكرسي تاكلين) فضحكت

وقالت للمعلمة — قد نظرت في الردهة الشرقية سريراً في منتهى الجمال وفي عزمي ان اصنع عنه رسماً لشقيقتي التي عن قريب ستررق ولداً)فقالت المعلمة لتذهب فتراه) ولحق بنا بعض البنات الى القاعة الشرقية . وما اشد ما كان تأثري لما نظرت في وسط القاعة على مرتفع مفروش عليه سجادة عجمية سريراً شرقياً بفراشه وفاطاته كأن اماً قد هيأته وعليه كتابة « سرير سوري من جبل لبنان » وقفنا ننظر اليه فسألتني الفتاة : ما قولك فيه ؟ وهل تظنه مريحاً للاولاد . ما لك لا تجاوب)— ماذا اجاوب . ذاكرتي قوية لكني لم اعد اذكر اذا كان النوم فيه مريحاً يوم كانت والدتي تلقني بهذه القاطات . وانا سوري من جبل لبنان) — من جبل لبنان . انت سوري ؟) وقالت احدى الصغيرات : انظر هذه الطاولة فهي من ارز لبنان). وكان بقرب السرير طاولة مطعمة بالعاج وعليها كتابة عربية . فنظرت اليها بتأثر و بعدما قرأتها لمن قالت المعلمة : يوجد عندكم ولا شك كثير من التحف الجميلة والمفروشات الثمينة مثل السجاد وغيره

— كان في الماضي اما الآن قد تلاشت الصناعة وذهب الاوربيون حتى الاسرة وقذفت الينا معامل اوربا ما كسد فيها من البضائع فافسدت الذوق) — وهل لا تفكر الحكومة باحياء الصناعة ؟ وكم اتمنى متحفاً يحتوي متاحف بيروت ؟) — !!!!) فقالت الصبية كيف لا يوجد متحف في بيروت و بلادكم اغنى البلاد بالآثار !) وقالت الصغيرة : وهل لا يذهبن البنات برسمن الكراسي في المتحف — ، فاسكتتها المعلمة وانا قلت لهن : انتن سعيدات لوجودكن في هذه البلاد حيث الهواء الذي تتنشقنه فيه كل تمدن وارتقاء !

— وهل هواء بلادكم يخلو من ذلك وقد تنشقه يوماً السيد المسيح وترك فيه من روحه

— نعم هو خال من كل ذلك وكله غبار ودخان) فقالت الصغيرة : وهل عندكم معامل كثيرة حتى يملأ دخانها الهواء) فاسكتتها المعلمة وسألتني: بلادكم مسيحية بلا شك والسيدات ماذا يعملن؟)— بكل خجل اقول لك اني لا اعلم جيداً اما هي بلادي ولا ماذا تعمل السيدات) فقالت الصغيرة : والدي زار فلسطين وبعلبك واخبرنا انه يوجد نساء يعضهن بعين واحدة والبعض بوجوه منقوشة وغيرهن بلا وجوه ...) فاسكتتها المعلمة وامرتهن ان يتهيأن للذهاب لكن الصغيرة قبلما تخرج من الردهة قالت لي وهي ذاهبة— ارجوك ان ترسل لي اوزة صغيرة من جبل لبنان وامرأة بعين واحدة) فقلت لها بالعربية نكرم عينك !) ثم بقيت وحدي انظر الى تلك الاواني الشرقية مصفوفة في زوايا المتحف وافكاري تحوم من بعيد فوق بلادي وكنت اردد في قلبي مسكين جبل لبنان » بها.